القواسم المشتركة في ديوان الحماسة لأبي تمام وشاهنامة للفردوسي

مهدى محمدى نژاد الأستاذ المساعد في كلية العلوم الإنسانية في جامعة كلستان
M.mohammadinezhad@gu.ac.ir
وحيد رويانى الأستاذ المشارك في كلية العلوم الإنسانية في جامعة كلستان
vahidrooyani@yahoo.com
بهروز قربان زاده الأستاذ المساعد في جامعة مازندران
b.ghorbanzadeh@umz.ac.ir

الملخص

الملحمة هي شعر يقوم على هياج الشاعر وغضبه، أو على فخره بنسبه ونسب أهله وقبيلته.لم يذكر لنا تاريخ الأدب العربي ملاحم كتلك التي نشاهدها في الأدب الفارسي.يحتوي ديوان الحماسة لأبي تمام على بعض الميزات للملحمة التي وردت في شاهنامة للفردوسي، ولَمَّا يتناولها الباحثون بالدراسة.نجد بعد مقارنة الكتابين مؤشرات تدلنا على وجود مضامين مشتركة فيهما، كوصف السيف والحصان والحرب والشجاعة والبطولة والأبطال، والتفاخر بالنسب، واستخدام الرمح واللعب به، والإيمان بالقضاء الإلهي. كما أن هناك أيضاً صور خيالية مشتركة في الكتابين صُبَّت في القوالب البلاغية من الاستعارة والتشبيه وتشبيه التفضيل والإغراق.

وقد كان الفردوسي شاعرا بارعا ذا اهتمام بالثقافتين العربية والفارسية، و مع أننا اتبعنا في هذا البحث خُطي المدرسة الإمريكية في المقارنة التي تهمل جانب التأثير والتأثر بين الأدبين إلا أننا نري أن الفردوسي كان ذا صلة بالدواوين العربية، وهذا يحفزنا إلي القول بأنه ليس من المستبعد تأثر هذا الشاعر بموضوعات ديوان الحماسة وصورها، إلا أنه من الصعب التحقق من ذلك، ولعلها كانت منبعثة من خيال الفردوسي نفسه.

المقدمة:

تُطلق الملحمة في الأدب العربي على نوع من الشعر يتحدث فيه الشاعر عن هيجانه وغضبه والتفاخر بنسبه وقبيلته، ومن الكتب التي تعبر عن الحروب والملاحم كتاب

الحماسة لأبي تمام، وحماسة ابن الشجري، والكثير من الكتب الأخري التي تحمل عنوان الحماسة، فلفظة الحماسة تدل على الغضب والغلظة والحرب. (شفيعي كدكني، ١٣٧٦، ص ٥)

يقول الدكتور زرين كوب: «لم يعهد الأدب العربي بقصص الحرب المنظومة، وأما الآثار المنثورة التي وصلت إلينا من العربية كسيرة عنترة وأمثاله فليست عربية خالصة أو حروبا محضة. فالذي يعتبر في العربية ملحمة ليس إلا قصيدة غنائية». (زرين كوب، ١٣٦٣، ص ١٢٥)

وقد أَذعَن مؤرخو الأدب من العرب والفرس وغيرهما من المستشرقين بعدم وجود الشعر الملحمي عند العرب، يقول الدكتور شوقي ضيف: «فهذه الضروب الثلاثة من الشعر لم يعرفها الجاهليون، فشعرهم منظومات قصيرة لم تتجاوز المئة بيت، وهو شعر ذاتي يمثل صاحبه وأهواءه... وعليه فإننا لا نجنح حين نزعم أن الشعر الجاهلي جميعه غنائي؛ إذ يماثل الشعر الغنائي الغربي من حيث إنه ذاتي يصور نفسية الفرد وما يختلجها من عواطف وأحاسيس... فهو يشابه الأصول اليونانية للشعر الغنائي الغربي». (شوقي ضيف، ١٣٦٤، ص ٢١٢).

وقال مُختاري: «الشعر الملحمي من منظور العرب هو شعر يفتخر الشاعر فيه بقومه، ويهجو عدوه، ويقدم بشجاعته إلي ساحة الحرب، ثم يرجع ظافرا.. وعليه لا بد في الأدب العربي من وضع الفخر والملحمة في موضع واحد». (مختاري، ١٣٩٣، شماره ١: ١٣١- ١٥٦.)

وعلى الرغم من عدم وجود ملاحم في الأدب العربي القديم إلا أن هناك آثارا لا تخلو من ميزات الشعر الملحمي منها حماسة أبي تمام. ومن الجدير بالذكر أن القصد من عبارة "شاعر الحماسة" في هذا البحث هو الشاعر الذي أورد أبو تمام شعره في ديوان الحماسة، ولتعدُّدِ أسمائهم اكتفينا بذكر المؤلف وهو أبو تمام.

أبو تمام و ديوان الحماسة:

هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي من الشعراء المشهورين في العصر العباسي. قال عنه ابن المعتز: "مولده ومنشؤه منبج، بقرية منها يقال لها جاسم. شاعر مطبوع، لطيف الفطنة، دقيق المعاني، غواص على ما يستصعب منها، ويعسر متناوله على غيره. وله

مذهب في المطابق، هو كالسابق إليه جميع الشعراء، وإن كانوا قد فتحوه قبله، وقالوا القليل منه، فإن له فضل الإكثار فيه، والسلوك في جميع طرقه. والسليم من شعره النادر شيء لا يتعلق به أحد". (الأصفهاني، ١٩٩٢، ج ١٦: ٣٨٣-٣٩٩).

قالوا: وسبب جمعه "ديوان الحماسة" أنه قصد عبد الله بن طاهر وهو بخراسان فمدحه فأجازه، وعاد يريد العراق، فلما دخل همذان اغتنم أبو الوفاء ابن سلم فأنزله وأكرمه، وأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق، فغم ذلك أبا تمام وسر أبا الوفاء، فأحضره خزانة كتبه فطالعها واشتغل بها، وصنف خمسة كتب من الشعر، منها كتاب الحماسة، والوحشيات، وفحول الشعراء، ومختار شعراء القبائل (الخزانة)، فبقي الحماسة في خزائن آل سلم يضنون به، حتى تغيرت أحوالهم وورد أبو العواذل همذان من دينور، فظفر به وحمله إلى أصبهان، فأقبل أدباؤها عليه، ورفضوا ما عداه مما هو في معناه من الكتب، ثم شاع حتى ملأ الدنيا. (شورل، ١٣٨٦، ادبيّات تطبيقي، ص ٢٥)

ويعدُّ ديوان الحماسة من أحسن الدواوين العربية التراثية التي تشمل في قسم منها على أشعار البطولة والأبطال والحروب بحيث يمكن الحصول في قسم الحماسة منها على بعض القواسم المشتركة مع شاهنامة للفردوسي.

تأريخية البحث:

لقد كانت الدراسات المقارنة بين الأدبين العربي والفارسي مطمح أنظار الباحثين إذ كتبوا فيها بحوثا كثيرة في شتي مجالات العلاقة بينهما.

يختلف آراء الباحثين عن الأدب المقارن فهو بشكل عام فرع من النقد الأدبي الذي يتناول العلاقات الثقافية بين الأمم المختلفة. قال شورل في تعريف الأدب المقارن: « هو فن منهجي يدرس العلاقات المقارنة من القرابة والتأثير والتأثر بين الأمم في حقل الأداب و المجالات المعرفية الأخري»1. و يعتقد يوست أن الأدب المقارن هو الأيديولوجيا و يقول: «الأدب المقارن هو أعم من أن يكون فرعاً دراسياً بل هو نظرة عامة على الأدب و هو علم البيئة و رؤية ثقافية شاملة على العالم» (يوست ٥٠). (الرافعي، -، ج٣، ص ٣٩٣).

تنقسم الآراء حول الأدب المقارن إلي قسمين رئيسين:

المدرسة الفرنسية :

يعتبر "فان تيجم٢"، "ماري كاريه٣" و "فرانسوا جويارد٤" من معالم هذه المدرسة. فكان أصحاب هذه النظرية يرون أن الأدب المقارن فرع من تاريخ الأدب يدرس

العلاقات الثقافية بين الأمم المختلفة والمقارنة في هذا النوع من الأدب تبتني على التبادل الثقافي بين تلك الأمم٥. إن أهم الأسس التي تبتني عليها المدرسة الفرنسية هي:

- اختلاف اللغة بين الأمتين.
- وجود صلات تاريخية بين الأمتين.
- وجود تأثير و تأثر بين الأمتين.

المدرسة الإمريكية:

تأسست هذه المدرسة بعد الملاحظات التي أخذها «رنة ولك» على المدرسة الفرنسية فكان يري أن المدرسة الفرنسية لاتدرس الأدب بما هو أدب بل يتناول ما ليس يعَدُّ من صميم الأدب كالتأثير والتأثر وما شابههما(ص ٤٣). (انوشيرواني، ١/١ (بهار ١٣٨٩): ٦-٣٨) تبتني نظرية المدرسة الإمريكية على التشابه بين الأدب والفن و سائر الحقول المعرفية. يقول هنري رماك٦ وهو أحد الباحثين في الأدب المقارن:«يعني الأدب المقارن بدراسة الأدب خارج الحدود الجغرافية و يدرس علاقة الأدب بسائر الحقول المعرفية نحو الرسم والفسفة والتاريخ و علم الاجتماع والسياسة والاقتصاد و.... وخلاصة القول هي أن الأدب المقارن يدرس العلاقات القائمة بين الأمتين أو أكثر منهما في شتىٰ الحقول المعرفية». (استالكنت ٧٨)٧.

وأما نحن في هذه الدراسة فنعتمد على منهج المدرسة الإمريكية أكثر من الفرنسية إذ يهمنا وجود قواسم مشتركة بين أبي تمام والفردوسي بغض النظر عن وجود صلات تاريخية أو التأثير والتأثر بينهما.

هناك بعض الباحثين ممن تناولوا الملاحم العربية والفارسية بالبحث، ومن أولئك قاسم مختاري الذي كتب بحثا بعنوان: «بررسي حماسة سرايي در ادبيات كهن عربي: دراسة الملحمة في الأدب العربي القديم»، وقد درس في بحثه هذا أسباب فقدان الملاحم القديمة في الأدب العربي، وقَسَّم الآثار الملحمية إلي أقسام مختلفة تتدرج من القوة إلي الضعف.

ومنهم وحيد سبزيان بور الذي كتب بحثه «بررسي تطبيقي حماسة در شعر متنبّي وفردوسي: دراسة مقارنة في المفاهيم الملحمية بين الفردوسي والمتنبي»، فقارن في بحثه

الملحمة بين الشاعرين المتنبي والفردوسي، ودرس الصور الملحمية وأسباب الخلاف بينهما.

وهناك باحثون كتبوا عن أبي تمام بالفارسية، منهم سعيد شيباني، والذي حمل بحثه عنوان: «وصف در ديوان أبو تمام: الوصف في ديوان أبي تمام»، فدرس الباحث في بحثه تمكنَ الشاعر أبي تمام من الخيال والتفنن في الوصف.

ومنهم حسين ايمانيان صاحب البحث «دو شاعر ديرياب، خاقاني شرواني وأبو تمام طايي: الشاعران: خاقاني الشرواني وأبو تمام الطائي» به مقايسه اين دو شاعر پرداخته است.

ومن اللافت أنه لم يعتن أحد حتي الآن بالمقارنة بين حماسة أبي تمام وشاهنامة للفردوسي.

١- الموضوعات:

هناك موضوعات ملحمية مشتركة بين حماسة أبي تمام وشاهنامة تُقرِّبُ الكتابين بعضهما إلي بعض، نذكر من تلك الموضوعات:

وصف السيف:

يُعَدُّ وصف السلاح أحد الموضوعات التي كثرت في ديوان الحماسة وشاهنامة، حيث ذكرت فيهما أنواع مختلفة من الأسلحة كالسيف والرمح والقوس وغيرها، وعلى سبيل المثال يقول شاعر الحماسة في معرض وصف السيف:

لَهَا لَوْنٌ مِنَ الهَامَاتِ كَابٍ وَإِنْ كَانَتْ تُحَادَثُ بِالصِّقَالِ

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٤١).

ويتابع قائلا:

وأسيافنا فِي كل غرب ومشرق بهَا من قراع الدارعين فلول

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٣٠).

ويقول الفردوسي في وصف السيف المصقول الذي يشبه الماء الصافي:

هذا السيف كالسحاب الذي يمطر دما، وله فلول لشدة قراعه برؤوس الفيلة

يكي ابر دارم به چنگ اندرون كه همرنگ اب است وبارانش خون

همـــي آتـــش افـــروزد از گـوهـــرش همـــي مغـــز پـيـــلان بســـايد ســـرش

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ١٧٠)

فى يدى قطعة سحاب يتفجر من خلالها الدم، وتسعر صواعقها وتتضرم، أفلق بها هامات

الفيلة، وأهجم بها على هجمة الآجال.

ويقول الشاعر في ديوان الحماسة وقد جعل السيف وجه شبه:

ذَهَـــــبَ الَّـــــذِينَ أحِـــــبهُمْ وَبَقِيـــتُ مِثْـــلَ السَّـــيْفِ فَـــرْدَا

(شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٥٢).

ويجعل السيف أنيسا لنفس صاحبه في موضع آخر قائلا:

وَلم يستشـــر رَأيـــه غـــير نَفســـه وَلم يـرض إِلَّـا قَـائِم السَّـيْف صـاحبا

(شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ١٦).

وأما الفردوسي فقد جاء بالمضمون نفسه عندما يحكي عن قصة رستم إذ يجادل الملك كيكاووس وينصرف من عنده وهو غاضب مستغنيا عنه وعن الناس، وجاعلا سيفه ورمحه أنيسين له:

زمـين بنـده ورخـش گـاه مـن اسـت نگـين گـرز ومغفـر كـلاه مـن اسـت

تعبدت لي الأرض وأصبح "رخش" (وهو اسم فرسه) لي كسرير الملك والصولجان لي كالخاتم والمغفر لي كالتاج.

شـــب تـــيره از تيـــغ رخشـــان كـــنم بـــه آوردگـه بـــر سرافشـــان كـــنم

أجعل الليل المظلم مُشرِقاً بالسيف وأدوِّرُه على رأسي في ساحة القتال.

ســـر نيـــزه وتيـــغ يـــار مـــن انـــد دو بـــازو ودل شـــهريار مـــن انـــد

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٢٦٠).

الرمح والسيف أصدقائي ويساعدني عضداي وقلبي على قتال الأعداء.

واعتبر الشاعر في ديوان الحماسة السيف مُفرِّجاً عن الغموم، ومُخرجاً عن المآزق حيث قال:

إذا مَـا ابتـدرنا مأزقـا فرجـت لنـا بأيماننـا بـيض جلتهـا الصـياقل

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ١٠).

ويشبه الفردوسي ذلك الشاعر حيث يجعل السيف منقذه الوحيد وواهبه كل العالم، ويقول:

مـرا يـار در هفتخـوان رخـش بـود كـه شمشـير تيـزم جهـان بخـش بـود

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ١٠٠٧).

كان "رخش" يلازمني دائما في كل مكان، وكان سيفي الحاسم يهب لي العالَم كله.

ويقسِّم الشاعر في ديوان الحماسة السيف، ويجعله حصتين: غواشي وصدورا، ويجعل صدور السيف حصة العدو وغواشيه حصة قومه قائلا:

تقـاسمهم أسـيافنا شَـرّ قسْـمَة ففينـا غواشـيها وَفِـيهِمْ صـدورها

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ١١).

وقد جاء الفردوسي بما يشبه هذا المضمون، وشبه بطل قصته بالسيف، وشبه العدو بالغمد، فيكون غرس السيف في غمده كولوجه وغرسه في أحشاء أعدائه:

همـه شـهر ايـران بـه كـام تـو گـشـت تـو تيغـي ودشمـن نيـام تـو گـشـت

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٩٢٩).

أصبحت إيران كلها ملكا لك وأنت سيف والعدو غمد لك.

وعندما حاربت إيران توران قال إسفنديار للإيرانيين ألّا يُمسكوا السيوف بأيديهم لأنها حصة العدو، ولابد أن تنغمس في بطون الأعداء:

نيـام از دل وخـون دشمـن كنيـد ز تورانيـان كـوه قـارن كنيـد

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٩٤٥).

(فأمر إسفنديار أصحابه فوضعوا فيهم السيف حتى امتلأ ما هناك من الفضاء بأشلاء القتلى وجثتهم.

ومن ميزات السيف التي وصفها شاعر الحماسة وميضه ولمعانه إذ يقول:

حَمِـيَ الْحَدِيـدُ علـيهِمُ فَكَأَنَّـهُ وَمَضَـانُ بَـرْقٍ أَوْ شـعَاعُ شُـمُوسِ

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٤٠).

ونجد هذه الميزة للسيف في شاهنامة أيضا عندما يصف الفردوسي حرارة السيف ولمعانه كأنه نار ساطعة ألقيت في المدينة:

ز شمشـــير تيـــز آتـــش افروختنـــد همـــه شـــهر يكســـر همـــي ســـوختند

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٢٠٨).

استَوقَدُوا النارَ بالسيوف الحاسمة، وأحرقوا المدينة كلها.

درخشـــيدن تيـــغ المـــاس گـون ســـنانهاي آهـــار داده بـــه خـــون

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٣٨٥).

كانت سيوفهم تتلألأ كألماس، ورماحهم ملطخة بالدماء.

تـو گـفـتي كـه برشـد بـه گـيـتي بخـار برافروختنـــد آتـــش كـــارزار

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٢٩).

بدأت تتلظي السيوف والرماح، وأصبح العالم كأنه دخان يتصاعد من شدة النار التي أوقدوها.

وقد وصف الفردوسي السيوف بشدة وميضها، فكأن الشمس تريد أن تهرب من شدة ذلك الوميض.

درخشـــيدن خنجـــر وتيـــغ تيـــز همـــي جســـت خورشـــيد راه گـريـز

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٧٧١).

عندما لمعت الرماح والسيوف بدأت الشمس بالهروب.

١-١- القتال والتضحية:

ومن الموضوعات التي نجدها في الكتابين حب القتال لأجل الآخرين، وليس للمصالح الشخصية.

قال شاعر الحماسة:

لاَ يَسْـــأَلُونَ أَخَـــاهُمْ حِـــينَ يَنْـــدُبُهُمْ فِـــي النَّائِبَـــاتِ عَلَـــى مـــا قـــالَ بُرْهَانَـــا

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٥).

وقال في موضع آخر:

وأنـــــي لا أزال أخـــــا حـــــروبٍ إذا لم أَجْـــن كنـــتُ مِجَـــنَّ جـــاني

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٣٤).

وجاء المضمون نفسه في شاهنامة في عبارات مختلفة كما قال الفردوسي في وصف بطلٍ اسمه "كلاهور":

به سان پلنگ ژيان بد به خوي نكردي بجز جنگ چيز آرزوي

(الفردوسي، شاهنامه، ج٢: ١٤٣٣).

وكان كالنمر فى خُلُقه لا يشتهى غير الهراش والحرب.

وقال أيضا على لسان جد رستم:

كنون چند سال است تا پشت زين مرا تختگاه است واسبم زمين

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ١٢٢).

إنه لا يخفى على أحد أنى قد طعنت فى السن، وتلفعت بِرَداء الشيب، وضَعُف كاهلى عن حمل أثقال السلاح، ووهت مُنيتى عن إعمال السيف عند الكفاح.

وماثل الفردوسي أبا تمام إذ شبه "زال" بمجن يعصم الإيرانيين أمام الأخطار:

كه بودي سپر پيش ايرانيان به مردي به هر كينه بسته ميان

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ١٠٦٠).

من كان يعصم الإيرانيين أمام كل حاقد مقاتل؟

وقال في موضع آخر وقد شبه "پيران ويسه" بمجن يعصم افراسياب أمام الأخطار المختلفة:

هميشه يكي جوشني پيش من سپرده جهان وفدا كرده تن

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٧٠١).

لايزال "بيران ويسه" يضحي بنفسه ويعصم أفراسياب عند الأخطار.

ويتابع شاعر الحماسة قوله في وصف الأبطال الذين يفضّلون الموت بالسيف على الميتة العادية فيقول:

سأغسل عني الْعَار بِالسَّيْفِ جالبا على قَضَاء الله مَا كَانَ جالبا

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ١٥).

ولا يرضي لنفسه إلا الموت بالسيف:

تسيل على حد الظبات نفوسنا وَلَيْسَت على غير الظبات تسيل

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٢٩).

أما في شاهنامة فيفضِّل داراب بن دارا أن يقتَلَ في الحرب على عار الاستسلام أمام اسكندر، فيسلِّم نفسَه للقضاء:

سرانجام گفت اين ز كشتن بتر كه من پيش رومي ببندم كمر

قال داراب أخيراً: إني أرجّح القتل والهلاك على الاستسلام للروم.

ستودان مرا بهتر آيد ز ننگ يكي داستان زد برين مرد سنگ

وَعَظَنِي رجل كريم أن الموت خير من العار.

همي بودمي يار هركس به جنگ چو شد مر مرا زين نشان كار تنگ

لا أزال أقاتل الأعداء وأنتصر لكل مظلوم وإن كنت متضايقا.

نبينم همي در جهان يار كس بجز ايزدم نيست فريادرس

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ١٠٩٦).

لا أري في العالم كله عوناً إلا الله الذي يُغيثني.

١-٢- فروسة الأبطال:

يتحدث شاعر الحماسة عن الفرسان الذين لم ينهكهم خوض الحروب المتوالية، وكأنَّ الفروسية أصبحت جزءا لا يتجزأ منهم، يعتزون بها، ولا تزيدهم الحروب إلا قوة وشجاعة:

بيض مفارقنا تغلى مراجلنا نأسوا بِأَمْوَالِنَا آثَار أَيْدِينَا

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٢٦).

ويقول الفردوسي وهو يصف سهراب، ويعتبره بطلا ولدته الحرب ولم تنهكه:

برفتند وروي هوا تيره گشت ز سهراب گردون همي خيره گشت

راحوا وقد تعكر الجو، وأصبح العالم في عجب من شجاعة سهراب.

تو گفتي ز جنگش سرشت آسمان نيارامد از تاختن يك زمان

كأن الحرب أُشرب في قلبه، فيهجم دائما ولا يهدأ لحظة.

وگر باره زير اندرش آهن است شگفتي روان است ورويين تن است

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٢٧٣).

وكأنَّ خيله صنع من الحديد، وجسمه صلب وروحه عجيب.

يقول شاعر الحماسة وهو يصف بطلا يطلب من رزام أن يجعله في مقدمة الهجوم حتي يقاتل الأعداء تواقا إلي الموت دون خشية:

فيا لرزام رشحوا بِي مقدما إِلَى الْمَوْت خوضا إِلَيْهِ الكتائبا

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ١٦).

وأما الفردوسي فيصف رستم على لسان سردار پشنگ، ويَعُدُّه بطلا لا يهاب الموت تاركاً العقل والعلم، متجاهلا الحذر من أجل الوصول إلي هدفه:

يكي پيلتن ديدم وشيرچنگ نه هوش ونه دانش نه راي ودرنگ

رأيت بطلا يشبه جسمه الفيل، ومخلبه الأسد، وهو تارك الحذر والعقل، ولا يهاب القتال والهجوم

عنان را سپرده بران پيل مست يكي گرزه گاو پيكر بدست

سلَّم زمامه إلي الفيل المجنون، وكان بيده آلة الضرب التي تشبه عظام البقر قوة.

تو گفتي كه از آهنش كردهاند ز سنگ وز رويش برآوردهاند

كأنه قد خلق من حديد وصخر.

چه درياش پيش وچه ببر بيان چه درنده شير وچه پيل ژيان

سواء عليه أكان يواجهه البحر أو النمر أو الضرغام أو الفيل.

همي تاخت يكسان چو روز شكار ببازي همي آمدش كارزار

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ١٨٠).

هجم على الأعداء كأنه يريد أن يصطادهم، وكانت الحرب عنده تساوي اللعب.

١-٣- الفخر بالنسب:

يُعدُّ التفاخر بالقبيلة والفخر بالنسب من الموضوعات السائدة في الملاحم، حيث نري هذه الظاهرة كثيرة في الشاهنامه وديوان الحماسة لأبي تمام.

فعلى سبيل المثال يقول شاعر الحماسة:

صُـفُونا فَلـم نكـدر وأخلـص سـرنا إنـاث أطابـت حملنَـا وفحـول

علونـا إِلَـى خـير الظُّهُـور وحطنـا لوقـت إِلَـى خـير الْبُطُـون نـزُول

فَـنحْن كَمَـاء المـزن مَـا فِـي نصـابنا كهـام ولَـا فِينَـا يعـد بخيـل

وننكـر إِن شِـئْنَا علـى النَّـاس قَـوْلهم وَلَـا يُنكـرُونَ القَـوْل حِـين نقـول

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٣٠).

وقد كثر التفاخر في شاهنامة إلا أن النموذج التالي يشبه ما قاله شاعر الحماسة:

قال إسفنديار في الحرب التي وقعت بينه وبين رستم فخورا بنسبه:

نژاد مـن از تخـم گشتاسـب اسـت كـه گشتاسـب از تخـم لهراسـب اسـت

أفتخر بنسبي الذي ينتمي إلي كشتَاسب ونسـب كشتاسـب ينتمـي إلـي لَهرَاسـب

كـه لهراسـب بـد پور اورنـد شـاه كـه او را بـدي از مهـان تـاج وگاه

وينتمي نسب لهراسب إلي اورند شاه الذي كان تاجا على رأس الشرفاء والكبار.

همـي رو چنـين تـا فريـدون شـاه كـه شـاه جهـان بـود وزيبـاي گاه

وهكذا افترضْ أنسابي التي تصل إلي فريدون مَلِك العالَم وفَخرِ جماله.

همـان مـادرم دختـر قيصـر اسـت كجـا بـر سـر روميـان افسـر اسـت

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ١٠٠٥).

كانت أمي بنتا للقيصَر الذي كان يَسودُ إيران والروم.

قال أبو تمام في معرض وصفه لبني الديان:

تَـدور رحـاهم حَـولهمْ وتجـول

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٣١).

وأما إسفنديار فأتى بالمضمون نفسه قائلا:

تـو آنـي كـه پيـش نياكـان مـن بـزرگان بيـدار وپاكـان مـن

أنت الذي تُعَدُّ أمام أنسابي وأجدادي:

پرستنده بودي همي با نيا نجويم همي زين سخن كيميا

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ١٠٠٦)

عبداً مملوكاً وهذا الكلام حقيقة وليس ادعاءً.

وقال شاعر الحماسة أيضا في موضع آخر واصفاً بطولة قومه وفروسيتهم:

لَقَدْ عَلِمَ القَبَائِلُ أنَّ قَوْمِي ذَوُو جِدٍّ إذَا لُبِسَ الْحَدِيدُ

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ١٠٣).

وهذا المضمون يشبه ما قاله بيجن في شاهنامة:

كه من بيژنم پور كشوادگان سر پهلوانان وآزادگان

أنا بيجن ابنٌ للأسياد المسمين بـ "كشوادجان" وأنا سيد الأبطال والأحرار

ندرّد كسي پوست بر من مگر همي سيري آيد تنش را ز سر

لايجرؤ أحد على الإقدام على إلا وهو يقصد الموت والهلاك.

تو داني نياكان وشاه مرا ميان يلان پاي گاه مرا

أنت تعرف أنسابي وملوكي، وتعرف مكانتي بين الأبطال والشجعان.

اگر جنگ جوييد من جنگ را هميشه بشويم به خون چنگ را

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٦١٣)

إذا كنتم تريدون القتال فأنا جاهز، فالدماء تجري من مخالبي دائما.

١-٤- وصف الفرس:

يعد وصف الفرس من الموضوعات المشتركة في ديوان الحماسة لأبي تمام والشاهنامه للفردوسي وذلك لأن الفرس من العناصر المهمة التي كانت تقترن بساحات القتال، ولها دور أساس في الحروب، وبناء عليه فقد اهتم الشعراء من الفرس والعرب بالميزات التي تتمتَّع بها الفرس وعَدَّدوها، وهناك قواسم مشتركة بين ديوان الحماسة وشاهنامة.

فمثلا: يصف شاعر الحماسة الْخَيل يَوْم طرادها وهو سليم ظفة القوائم هيكل:

وَلَقَد شهِدت الْخَيل يَوْم طرادها بسليم أَو ظفة القوائم هيكل

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ١٤).

وقال أيضا:

خَـــيْلاً كَأمْثَـــالِ السَّـــعَالِي شُـــزَّباً تَعْـدُو بِبِـيضٍ فِـي الْكَرِيهَـةِ شُـوسِ

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٤٠).

وقد أشار الفردوسي إلي الفرس السليم ظفة القوائم وقال:

بـه آوردگـه رفـت چون پـيـل مسـت يكـي پـيـل زيـر اژدهـايي بـه دسـت

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٩٠٧).

ذهب إلى ساحة القتال كالفيل و فرسه كالفيل وسيفه كالأفعى

وأشار أيضا إلي الفرس الذي يكاد يطير، وقال:

به گـفـت وبـرانگـيخت ابلـق ز جـاي تـو گـفـتي شـد آن بـاره پـرّان همـاي

(الفردوسي، شاهنامه، ج٢: ١٦٧٧).

حث فرسه على الهجوم كأن فرسه كاند يطير كالنسر.

وقال شاعر الحماسة عند وصف قوة الفرس وشجاعته:

وَتَلْقَنـــى يَشْـــتَدُّ بِـــي أجْـــرَدٌ مُسْـــتَقْدِمُ الْبِرْكَـــةِ كَالرَّاكِـــبِ

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٣٩).

أما الفردوسي فوصف الخيل بالميزات نفسها وشبه الخيل بالفولاذ قوة:

فرسـتاده در پـيـش او بـاد گـشـت بـه زيـر انـدرش چـرمـه پـولاد گـشـت

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ١٠٨)

هو يشبه الرياح سرعة والفولاذ قوة.

ووصف شاعر الحماسة الجياد التي لا تفرُّ عندما يحمي الوطيس، فيقول:

تلاقـوا جيـادا لَـا تحيـد عَـن الـوغى إِذا مَـا غَـدَتْ فِـي المـأزق المتـداني

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٣٣).

وقال الفردوسي أيضا عن الحصان الجياد الّتي تشبه الجبال الشامخة المتسلسلة، وتقاوم أمام العدو:

يكي ژنده پـيـل است بر پـشت كـوه مگـر رزم سـازند يـك سـر گـروه

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٥٦٣).

كأن الراكب المقدام جالس على ظهر الجبل الشامخ المقاوم أمام الأعداء.

١-٥-التلاعب بالرماح:

ومن الموضوعات التي ورد ذكرها في الكتابين وصف فنون القتال والفخر بها، فعلى سبيل المثال يفتخر شاعر الحماسة بنفسه فيقول:

الـــرُّمْحُ لاَ أَمَـــلأُ كَفِّـــي بِـــهِ وَاللَّبْـــدُ لاَ أَتْبَـــعُ تَزْوَالَـــهُ

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٣٧).

وجاء في الشاهنامه في معرض وصف قتال سهراب وهجير، عندما يريد سهراب أن يقبض على هجير حيا فيمسكه على رأس الرمح المقلوب دون أن يتحرك من السرج:

سنان باز پس كرد سهراب شير بن نيزه زد بر ميان دلير

قَلّبَ الرمح وأمسك بعجزه بطن عدوه.

ز زيـن بـرگ‌رفـتش بـه كـردار بـاد نيامـد همـي زو بـه دلـش اي‌چ يـاد

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٢٥٢).

ورفعه بسرعة تشبه سرعة الرياح من فوق مركوبه.

١-٦- القضاء والقدر:

كان الإنسان ولا يزال يتفكر في أمور القضاء والقدر، وقد كان الأدباء والعلماء يتناولون هذا الموضوع في أشعارهم شرق الأرض وغربها، وقد ورد في الحماسة وشاهنامة أيضا:

وقد استفاد الفردوسي من ألفاظ تتعلق بالقضاء نحو: الفلك، والزمن، والدهر، والقضاء... إلخ، وأعطي ميزات مختلفة للقضاء نحو: تلون الطبع، وعدم الاستقرار، والتغيير المستمر.

أما في الحماسة فقد وردت أيضاً ألفاظ متعلقة بالقضاء كالدهر، ووصفه بميزات مختلفة كالعجيب:

فيـــا عَـــم مهـــلا واتخـــذني لِنَوبـــة تنـــوب فَـــإِن الـــدَّهْر جـــم عجائبـــه

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٩٢).

أو:

أعَـانَ علـى الـدَّهَرَ إذْ حَـكَّ بَرْكُـهُ كَفَـى الـدَّهْرُ لَـوْ وكَّلْتَـهُ بِـيَ كافِيـا

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ١٠٥).

ويقول الفردوسي:

چنـين گـفـت كـز اخـتـر روزگـار مـرا بهـره كـين آمـد وكـارزار

أعطاني الدهر حصة الحرب والحقد.

ز گـيـتي مـرا شـوربختي اسـت بهـر پـراگـنـده بـر جـاي تريـاك زهـر

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٥١٩).

حظي من الدهر سيئ للغاية، وهو السم بدل الترياق.

وورد في الحماسة حكاية استسلام الإنسان للقضاء عند الموت الذي لا يستأخر عنه ولا يستقدم:

(فَكيف وكل لَيْسَ يعدو حمامه ... وَمَا لامرئ عَمَّا قضى الله مزحل)

وللفردوسي رأي يشبه ما ورد في الحماسة إذ يقول:

بـه دريـا نهـنگ وبـه هـامون پـلـنگ همـان شـير جـنگـاور تيـزچنگ

في البحر حوت وفي البر فهد، فهو الأسد الشجاع المقدام الذي يمتلك مخالب قوية

ابـا پـشـه ومـور در چنگ مـرگ يكـي باشـد ايـدر بُـدن نيسـت بـرگ

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ١٠٤٨).

يستوي القوي والضعيف أمام الموت، فلا يمكن لأحدهما أن يفلت منه.

وفي الحماسة إشارة إلى الحوادث المحتومة:

وغَـالَني الـدَّهْرُ بِـوَفْر الْغِنـى فَلَـيْسَ لِـي مَـالٌ سِـوَى عِرْضِـي

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ١٠٢).

وقد أورد الفردوسي المضمون نفسه قائلا:

اگـر بـودن اينسـت شـادي چراسـت شـد از مـرگ درويـش بـا شـاه راسـت

لا قيمة للفرح في الكون؛ لأن الفقير والملك سيّان أمام الموت.

اجـل چون درآيـد چه پـير وجـوان ز چنگـال مـردن نيابـد امـان

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ١٠٥٦).

فإذا جاء الأجل لا يأمن منه الشاب والعجوز.

ومما عزي إلي الدهر في الحماسة تحقير الأعاظم، وانخفاض شأنهم حيثما وردوا:

أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حُكْمِهِ مِنْ شَامِخٍ عَالٍ إِلَى خَفْضِ

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ١٠١).

وأورد الفردوسي بالمضمون نفسه وهو يكني بالأسد والنمر عن الأبطال والأعاظم:

چنين است خود گردش روزگار نگيرد همي پند آموزگار

لا يعتبر المعلمون مما يعلمونه للآخرين وهكذا يتداول الدهر.

زمانه به زهرآب داده است چنگ بدرّد دل شير وچرم پلنگ

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٧٢٣).

مخالب الدهر متسممة تقتل كل من يصمد أمامه، وإن كان أقوي من في الدهر.

ومن الميزات الأخري للدهر عدم استقراره في الكتابين الذي يسبب عدم الركون إليه، فمثلا يقول الفردوسي:

چنين است كردار چرخ بلند به دستي كلاه و به ديگر كمند

الدهر صاحب السرير والحبل بيده حبل وبالأخري حبل:

چو شادان نشيند كسي با كلاه ز خمّ كمندش رباید ز گاه

اذا رضي أحد بسرير الملك في الدنيا عَلَّق الدهر عليه الحبل ورماه من فوق السرير وأهلكه.

چرا مهر باید همي بر جهان بباید خرامید با همرهان

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٢٨٣).

إذا كانت الدنيا ذاهبة والناس يفنون فيها، فلماذا نركن إليها بلطف؟

وقال شاعر الحماسة:

أَبْكَانِيَ الدَّهْرُ وَيَا رُبَّمَا أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بِمَا يُرْضِي

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ١٠٢).

وقال الفردوسي عندما قضي رستم على سهراب:

جهانـــا شگـفـــتي ز كـــردار تســـت هـم از تـو شكسـته هـم از تـو درسـت

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٢٧١).

عجبا منك يا دهر! كلٌ من الإصلاح والخراب بيدك.

وقال في موضع آخر:

زمانه به يك سان ندارد درنگ گـهـي شـهدونوش اسـت وگـاهـي‌درنگ

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٧٤).

ليس الدهر على حالة واحدة، يفرح أحيانا، ويحزن أخري.

٢- التصوير الفني:

التصوير هو «كل تصرف في الخيال، ويشمل ذلك كل الفنون والصنائع الأدبية نحو التشبيه، والاستعارة، والمجاز، والكنايه، والتمثيل، والإغراق، و... □. (فتوحي، ١٣٨٦، ص٤٤)

ويُعدُّ التصوير من العناصر المهمة للشعر وعليه شاكلته.

ونجد في شاهنامة أن التصوير يُوظَّف لدوره الملحمي حتي ينساب مع بقية أجزاء هذا الكتاب الملحمي.

وبناء على ما سبق يستخدم الشاعر لخلق الصور الجميلة والخلابة خير ما يتناسب مع الملاحم من الفنون مثل: التشبيه، والاستعارة، والإغراق و... وهذه الفنون متواجدة في الكتابين.

التشبيه:

التشبيه أداة كثيرة الاستخدام في الملاحم إذ يأتي لخلق الصور الملحمية، وتمجيد البطل. ونرى أن التشبيهات التي أتي بها الفردوسي في شاهنامة قد أعطت لها جمالا وبهاء ملحميا بحيث يعجب بها السامع. (صادقيان، ١٣٧٤، ص ١٥٠)

وهذه الميزة توجد في ديوان الحماسة أيضا حيث نجد أن الشاعر شبه الأبطال بالنمور قائلا:

قَـــــوْمٌ إِذا لَبِسُـــــوا الحَـــــدِي دَ تَنَمَّـــــرُوا حَلَقـــــاً وقِـــــدًا

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٥٠).

وقد جاء الفردوسي أيضا بتشبيه مركب شبه فيه إسفنديار بالنمر، حيث قال:

چو جوشن بپوشيد پرخاشجوي ز زور وز شادي كه بود اندر اوي

لما تدرع جوشنه وهو يحس بالفرح والقوة.

نهاد آن بن نيزه را بر زمين ز خاك سياه اندر آمد به زين

وضع الرمح على الأرض وصعد على سرج الخيل.

بسان پلنگي كه بر پشت گور نشيند برانگيزد از گور شور

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ١٠١٨).

وكان حينذاك كالنمر الذي جلس على الحمار الوحشي وجعله يتأرجح.

وشبه الشاعر في ديوان الحماسة الأبطال الغاضبين بالأسود التي لا تفكر إلا في الانتقام:

فَلَمَّا صرح الشَّرّ فأمسى وَهُوَ عُرْيَان

وَلم يبْق سوى الْعدوان دناهم كَمَا دانوا

مشينا مشْيَة اللَّيْث غَدا وَاللَّيْث غَضْبَان

بِضَرْب فِيهِ توهين وتخضيع وإقران

وَطعن كفم الزق غذا والزق ملان

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٧).

وأما الفردوسي فشبه الإيرانيين الكماة الذين أتوا للانتقام بالأسود الغاضبين:

همه نامداران جوشنوران برفتند با گرزهاي گران

ذهب الكماة المدرعون وبأيديهم صولجانات.

دليران يكايك چو شير ژيان همه بسته بر كين ايرج ميان

وكان أولئك الكماة كالأسود المفترسة التي شمرت عن قتل ايرج.

به پيش اندرون كاوياني درفش به چنگ اندرون تيغهاي بنفش

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٧٢).

كان أمامهم عَلَم إيران، وفي مخالبهم سيوفا حادة.

وشبه الشاعر في ديوان الحماسة عدوه بالمرجل الذي يغلي فيه الماء، فقال:

وألـــد ذِي حنـــق علـــى كَأَنَّمَـــا تغلـــي عَـــدَاوَة صَـــدره فِـــي مرجـــل

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ١٤).

وجاء الفردوسي بالتشبيه نفسه قائلا:

سپهـدار چون كـار زانگـونـه ديـد بـــي اتـــش بجوشـــيد هـــمچون نبيـــد

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٢٣٣).

لما رأي الكمي تلك الحالة غلي غليان الخمر دون أن تمسه النار.

وأتي شاعر الحماسة بتشبيه آخر شبه نفسه فيه بالشمس التي تطمح إليها الأنظار دائما:

إنّـــي إذَ خَفِـــيَ الرِّجـــالُ وَجَـــدْتَني كَالشَّـــمْسِ لاَ تَخْفَـــى بِكُـــلِّ مَكَـــانِ

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٧٤).

واستخدم الفردوسي أسلوب التجاهل وشبه رستم بالشمس وقال:

به دل گفت بهمن كه اين رستم است ويـــا آفتـــاب سپيـــده دم اســـت

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٩٩٢).

قال بهمن في نفسه: أهذا رستم أم شمس النهار؟

٢-١-تشبيه تفضيل:

وقد سمي الراديواني هذا التشبيه بالمرجوع قائلا: التشبيه المرجوع هو أن يقف الشاعر وينفي ما كان قد أثبته على سبيل المبالغة (راديواني، ص٥١).

وعرَّف الوطواط هذا الفن فقال: "وتكون هذه الصنعة بأن يشبه الشاعر شيئا بشيء آخر، ثم يعود فيفضل المشبه على المشبه به". (وطواط، -، ص ٧٠).

وقد ورد هذا النوع من التشبيه في الكتابين، فقد جاء في ديوان الحماسة:

أَنـــا السَّـــيْف إِلَّـــا أَن للســـيف نبـــوة ومثلـــي لَـــا تنبـــو علىـــك مضـــاربه

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٩٢).

أثبت الشاعر صفة لنفسه ثم أردفه بنفي ذلك عنه وتفضيل نفسه.

وفعل الفردوسي الفعلة نفسها إذ شبه رستم بالسحاب، ثم ارتاب في فضل السحاب ورجح رستم عليه، حيث قال:

چنين گفت رستم كه نام من ابر اگر ابر باشد به زور ەژبر

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٥٣٣).

سمي رستم نفسه الغيم. أين الغيم من الأسد في القوة؟

وشبه بنت خاقان بالقمر ثم رجحها على القمر؛ لأنها تزدان بشعرها الذي زاد في جمالها، وفاقت بذلك على القمر:

يكي دختري داشت خاقان چو ماه كجا ماه دارد دو زلف سياه

(الفردوسي، شاهنامه، ج٢: ١٤٣٠).

كان لخاقان بنت كالقمر. ولكن أين القمر من جمال تلك البنت التي تمتلك غدائر سوداء؟

٢-٢-الاستعارة:

هناك علاقة وثيقة تربط الاستعارة بالملاحم؛ وذلك لأن الاستعارة أساس للإغراق والمبالغة، وتُبنى عليها معظم المبالغات الملحمية، ولذلك كثر استخدامها في شاهنامة وديوان الحماسة، ومن أمثلة ذلك مجيء الشاعر في ديوان الحماسة باستعارة مكنية شبّه فيها الشر بحيوان مفترس:

قَوْمٌ إذا الشَّرُّ أبْدَى نَاجِذَيْهِ لَهُمْ طَارُوا إلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانا

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٤).

وشبه الفردوسي أيضا الدَّهرَ بحوت يمزق الناس بأسنانه:

جهان را مخوان جز دلاور نهنگ بخايد به دندان چو گيرد به چنگ

(الفردوسي، شاهنامه، ج٢: ١٨٤٢).

لا تري الدَّهرَ إلا حوتا كبيرا يمزق ما يصطاده.

سرانجام نيك وبدش بگذرد شكارست ومرگش همي بشكرد

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٢٢٨).

يَمُرُّ الخير والشر لا محالة، ولا يوجد شيء في الدهر إلا وهو صيد له.

وفي معرض آخر أتي الشاعر في ديوان الحماسة باستعارة مكنية شبه فيها المنية بإنسان يضحك لموت الإنسان، ويُبدي نواجذه لدي موت كل إنسان:

إذا هــزه فِــي عظــم قــرن تهللــت نواجــذ أَفْــوَاه المنايــا الضــواحك

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٢٣).

وقال الفردوسي في معرض تشبيه الموت بحيوان مفترس ذي مخالب يترقب اصطياد الناس:

تــو شــادان دل ومــرگ چنگال تيــز نشســته چو شــير ژيــان پرســتيز

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٨٥٥).

أنت فرحان والموت ذو مخالب حديدية يترقب الناس كالأسد المفترس.

وقال الشاعر في ديوان الحماسة وهو يصف السلاح:

وَلَّــا تَــدَانَوْا بالرِّمــاحِ تَضَــلَّعَتْ صُــدُورُ الْقَنــا مِــنْهُمْ وَعَلَّــتْ نِهالُهــا

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٤٩).

وأما الفردوسي فأتي باستعارة مكنية عند وصف الرمح فكأن الرمح إنسان ذو عين تمتلئ بالنار والدم:

ز چشــم ســنان آتــش آمــد بــرون زمــين شــد بــه كــردار دريــاي خــون

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٢٢٣).

٢-٣-إضفاء الحياة:

كثير هم الشعراء الذين يصفون البيئة إلا أن القليل منهم من يخلط وصفه بالحياة والحركة. إن إضفاء الحياة يعد أحد الطرق التي تستخدم لبثّ الروح في الأشياء وإحيائها، "وهو أن يتصرف الشاعر في الأشياء بخياله ليضفي عليها صبغة الحياة". (شفيعي، ١٣٧٦، ص ١٤٩)

وقد كثر هذا الفن في ديوان شاهنامة، حيث كان الفردوسي يستخدمه في تصوير ساحة القتال لكي يحس به السامع، فيشعر بأنه يتواجد هنالك. وكذلك كان الأمر في ديوان أبي تمام بحيث يمكن مقارنتهما مع بعض أحيانا، ومن الامثلة على ذلك إعطاء الشاعر في ديوان الحماسة حياة للسيف، واعتباره كائناً حياً كإنسان يقضي ويحكم، وذلك في قوله:

وَلَكِـن حكـم السَّـيْف فِـيكُم مسـلط فنرضـى إِذا مَـا أصـبح السَّـيْف رَاضِـيا

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٣٢).

وكذلك أعطي الفردوسي حياة للسيف والسحاب، ورأي أن السحاب يبكي خوفا من السيف، حيث قال:

بـه تنهـا يكـي گـور بريـان كـني هـوا را بـه شمشـير گـريـان كـني

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٢٤٨)

سيحفر السيف قبرا للأعداء، ويجعل الجوَّ يبكي حزنا عليهم.

وقد اعتبر الشاعر في ديوان الحماسة السيف إنسانا جلس على المنبر وهو يعظ العدو:

مَنَـابِرُهُنَّ بُطُـونُ الأَكُـفِّ وَأَغْمَـادُهُنَّ رُؤُسُ الْمُلُـوكِ

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٩٨).

وتَشَبَّهَ الفردوسي بالشاعر في ديوان الحماسة إذ شبه السيف بإنسان ذي يد وإبط يستطيع أن يحيط بالعدو:

نيـامي اسـت كـان تيـغ بـار آورد سـر سركشـان در كنـار آورد

(الفردوسي، شاهنامه، ج٢: ١٤٨٥)

كان غمد الخنجر كالشجرة التي تُثمر سيوفا تقطع رؤوس الطغاة.

واعتبر الشاعر في ديوان الحماسة السيف حيوانا مفترسا متعطشاً لدماء الأعداء:

وإنـا لَتصْـبِحُ أسْـيَافُنَا إِذَا مَـا اصْـطَبَحْنَ بِيَـوْمٍ سَـفُوكِ

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٩٨).

وأما الفردوسي فاعتبر السيف حيوانا مفترسا يريد أن يهجم على العدو ولا طاقة له أن يبيت في غمده:

همـه بـر سرپرهـا نبشـتند نـام بجوشـيد شمشـيرها در نيـام

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٢٢٢)

كتب الجميع أسماءهم على الدروع، وأصبحت السيوف في أغمادها كالماء الذي يغلي في المرجل على النار.

الإغراق:

عدَّه ابن المعتز في كتاب البديع الإفراط في الصفة، (ابن معتز، ١٩٩٠م، ص ١١٦) وقال الوطواط: «هو أن يبالغ الإنسان في وصف الشيء، ويبلغ في ذلك أقصاه». (وطواط، -، ص ٧٣) ويعتقد الدكتور إبراهيم سلامة أن المبالغة المحمودة هي التي تستخدم للتصوير والتمثيل وتلوين العبارة وتفخيمها إلا أنها تفقد قيمتها عندما تستخدم في الحقيقة. (سلامه، ١٩٥٢م، ص ١٦٢) ويتبين من خلال المقارنة بين الشعراء الفرس والعرب أن الفرس أحب من العرب إلي الإغراق. (شفيعي، ١٣٧٢، سال هشتم، شماره ٣٣، ص ١٣٨).

وقد أكثر الفردوسي من الإغراق كأحسن أداة للتصوير، «ولا بديل له في الملاحم من هذه الجهة؛ لأن الأشياء تتضيق بالتشبيه والاستعاره، وقد أدرك الفردوسي هذا المعني ببراعته البلاغية»، (رستگار، ١٣٦٩، ص٤٤٧) وأوجد بذلك إغراقات في ذروة الجمال، ومن ذلك قوله عندما أدركت المنية سياوش:

بـه مـرگ سـياوش سـيه پوشـد آب كنـد زار نفـرين بـر افراسـياب

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٧٢٣).

يأتمُّ الماء من أجل موت سياوش، ويلبس ثوبه الأسود، ويلعن زار افراسياب.

وقوله أيضا عن مجد افراسياب وعزته:

شـود كـوه آهـن چو درياي آب اگر بشـنود نـام افراسـياب

(الفردوسي، شاهنامه، ج٤: ١٩).

إذا سمع جبل من الحديد اسم افراسياب فسيذوب، ويصبح بحراً من الحديد.

ونجد أحيانا إغراقات في ديوان الحماسة يمكن مقارنتها مع ما ورد في شاهنامة، فعلى سبيل المثال اعتبر الشاعر في ديوان الحماسة نفسه منية تدرك العدو:

وَقُـلْ لَهُـمْ بَـادِرُوا بِالْعُـذْرِ وَالْتَمِسُـوا قَـوْلاً يُبَـرِّئُكُمْ إِنِّـي أَنَـا الْمَـوْتُ

(أبوتمام، شرح ديوان الحماسة للتبرىزي، ص ٤٧).

أما الفردوسي فاعتبر رستم الموت المتربّص، وذلك عندما سارع إلي محاربة كاموس، فسأله كاموس عن اسمه، فرد عليه قائلا: "إني أنا الموت الذي بعثه الدهر إليك":

تهمـــتن چنـــين داد پـاســـخ كـــه نـــام چه پـرسي كـزين پـس نبـيني تـو كـام

قال تهمتن: لا تسأل عن اسمي، واعلم أنك لن تري بعدئذ خيرا في الحياة

مـــرا مـــادرم نـــام مـــرگ تـــو كـــرد زمانـــه مـــرا پـتـــك تـــرگ تـــو كـــرد

(الفردوسي، شاهنامه، ج١: ٥٣٥).

إذا كنت تسأل عن اسمي فاعلم أن أمّي سمّتني مُهلكك، والدهر سماني أداة قتلك.

النتيجة:

- لم يذكر لنا تاريخ الأدب العربي ملحمة طبيعية كالّتي في الأدب الفارسي، فالملحمة هي شعر يقوم على هياج الشاعر وغضبه أو على فخره بنسبه ونسب أهله وقبيلته.
- ديوان الحماسة لأبي تمام يحتوي على بعض المقومات للملحمة التي نجدها في شاهنامة للفردوسي، ولما يتناولها الباحثون.
- هناك مؤشرات تدلنا بعد مقارنة الكتابين على وجود صور مشتركة فيهما كوصف السيف والحصان والحرب والشجاعة والأبطال، والتفاخر بالنسب، واستخدام الرمح والتلاعب به، والإيمان بالقضاء الإلهي.
- يُعدُّ ديوان الحماسة لأبي تمام من الآثار التي تفقد جميع ميزات الملاحم إلا أنه يحتوي على بعض المقومات الملحمية التي نجدها في شاهنامة للفردوسي، ولم يتناول الباحثون القواسم الملحمية المشتركة بين هذين الكتابين.
- يتبين لنا من خلال هذا البحث أن الحماسة لأبي تمام وشاهنامه للفردوسي يتشابهان أحيانا في بعض الموضوعات كوصف السيف والقتال والبطولة، والفخر بالنسب، والتلاعب بالرمح، والاعتقاد بالقضاء والقدر، وفي بعض الصور الخيالية كالتشبيه والاستعارة والإغراق وغيرها.
- يسبق ديوان الحماسة لأبي تمام ولادة الفردوسي بأكثر من قرن، وقد كان صيته ذائعا بين العلماء في الأقطار الإسلامية، وكان الفردوسي عالما بارعا، ويشهد الباحثون المحققون منهم: فروزانفر (فروزانفر، ١٣٥٠، ص ٤٨) والدكتور رياحي (رياحي، ١٣٨٧، ص ٧٤) بحبه للأدب العربي، وإجادته العربية، وكان يستأنس

بالدواوين الشعرية العربية، ولا يستبعد أنه قد أفاد من ديوان الحماسة وكان مطلعا عليه إلا أنه من الصعب التحقق من ذلك بشكل لا يبقي معه شك.

Abstract

In Arabic literature, there is no natural epic, as it is known in Persian literature And the epic refers to a sort of poetry that speaks and reminds one of the state of anger and speaks of the glories of his and his tribes. The book of the epic of Abu Tomm is one of those works that contains some of the elements and features of the epic, including its themes and images. There are similar features and elements in Ferdowsi's Shahnameh, so far they have not been compared to them in these two works. Our review shows that the epic of Abu Muhammad and Ferdowsi's Shahnameh are similar in their common themes such as the description of the sword, the unconditional warrior, the brave heroes, the Fakhr to the race, the description of the horse, the performance of the spear, and the belief in righteousness and magnitude.

هوامش البحث

[2] - Paul van Teighem
[3] - jean-marie Carre
[4] - Marius- François Guyard
[6] - Henry Remak
[7] - Newton P. Stallknecht

قائمة المصادر والمراجع

الفارسية:

- رادوياني ترجمان البلاغة، تحقيق أحمد آتش، استانبول، ١٩٤٩م.
- رين‌گرن، هلمر.(١٣٨٨). تقدير باوري در منظومه هاي حماسي فارسي، ترجمه ابوالفضل خطيبي، تهران: نشر هرمس، چاپ اول.
- سجادي، ضياءالدين، (١٣٧٤)، «قضا وقدر در شاهنامه»، نميرم ازين پس كه من زنده ام، به كوشش غلامرضا ستوده، انتشارات دانشگاه تهران، صص ١١٩- ١٣٠.
- رستگار فسايي، منصور.(١٣٦٩). تصوير آفريني در شاهنامه فردوسي، شيراز: نشر دانشگاه شيراز، چاپ دوم.
- رياحي، محمد امين، ١٣٨٧، فردوسي، تهران: طرح نو، چاپ چهارم.

- زرين كوب، عبدالحسين، ١٣٦٣، شعر بي نقاب وشعر بي دروغ، تهران: انتشارات جاويدان، چاپ چهارم.
- سبزيان پور، وحيد، ١٣٩٣، «بررسي تطبيقي حماسة در شعر متنبّي وفردوسي»، ادب نامه تطبيقي، شماره ١، صص ٢٧- ٤٨.
- شفيعي كدكني، محمدرضا، ١٣٧٢، «انواع ادبي وشعر فارسي»، رشد آموزش ادب فارسي، سال هشتم، شماره ٣٣، قسمت دوم، صص ٤-٩.
- شفيعي كدكني، محمدرضا، ١٣٧٦، صور خيال در شعر فارسي، تهران: نشر آگاه، چاپ ششم.
- شورل، ايو. ١٣٨٦، ادبيّات تطبيقي. ترجمه طهورث ساجدي. تهران: اميركبير.
- شوقي ضيف، ١٣٦٤، تاريخ الأدب عربي (العصر الجاهلي)، ترجمه على رضا ذكاوتي قره گوزلو، تهران: انتشارات امير كبير.
- شيباني، سعيد، ١٣٧٨، «وصف در ديوان أبو تمام»، مجله دانشكده ادبيات وعلوم انساني دانشگاه تهران، صص ١٣٣- ١٤٧.
- صادقيان، محمد على، ١٣٧٤، «آهنگ حماسي در كلام فردوسي»، نميرم از اين پس كه من زنده ام، به كوشش غلامرضا ستوده، تهران: انتشارات دانشگاه تهران.
- فتوحي، محمود، ١٣٨٦، بلاغت تصوير، تهران: سخن.
- فردوسي، ابوالقاسم ١٣٧٦، شاهنامه، به كوشش ژول مول، چاپ پنجم، تهران: اميركبير.
- فردوسي، ابوالقاسم ١٣٩١، شاهنامه، به كوشش برتلس، چاپ دوم، تهران: هرمس.
- فروزانفر، بديع الزمان، ١٣٥٠، «ابوالقاسم فردوسي طوسي»، سخن وسخنوران، تهران: اميركبير، چاپ دوم. صص ٤٤- ١١١.
- مختاري، قاسم، ١٣٩٣، «بررسي حماسة سرايي در ادبيات كهن عربي»، دوفصلنامه ادبيات حماسي، دانشگاه لرستان، شماره ١، ص ١٣١- ١٥٦.
- وطواط، رشيد، حدائق السحر، چاپ اقبال.
- يوست، فرانسوا. «فلسفه و نظريه اي جديد در ادبيات». ترجمة علىرضا انوشيرواني. فصلنامه ادبيات تطبيقي دانشگاه جيرفت. ٢/ ٨ : ٣٧- ٥٦.

العربية:

- ابن معتز، عبدالله، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، البديع في البديع، دار الجيل، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- الأصفهاني، أبو الفرج على بن الحسين، ١٩٩٢ - الأغاني، شرحه سمير جابر ورفيقه، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أبو تمام حبيب بن أوس، شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس ت ٢٣١ هـ)، يحيى بن على بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا ، دار القلم – بيروت.
- الرافعي، مصطفى صادق تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي.
- سلامه، إبراهيم، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢م.

الإنكليزية:

- Stallknecht, Newton P. "Comparative Literature: Method and Perspective". *Comparative Literature Studies*. 1/ 1 (1964